

تفسير أبي السعود

259 - البقرة غلام يافع وغير يافع فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلّمة وكان عزيز من جملتهم فلما نجاه اﷻ تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على اقطع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عزوجل .
وهي خاويه على عروشها أي ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض أي تهدمت والجمله حال من ضمير مر أو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا .

قال أي تلهفا عليها وتشوقا إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها .

أنى يحيى هذه اﷻ وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث أن الاستبعاد ناشئ من جهتها لامن جهة الفاعل وأني نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلبالحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيى وايا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أي سبأ ومن غيرهم وانما عبر عنها بالإحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطاب وتأكيذا للاستبعاد كما انه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل .

بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه اﷻ D أثر ذي أثير أبعد الأمرين في نفسه ثم في غيره ثم أراه ما استبعده صريحا مبالغة في إزاحة ما عسى يختلج في خلدته وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم تتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعايية المار لها كما ستحيط به خيرا .

فأماته اﷻ وألبثه على الموت .

مائة عام روى أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها أحدا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأماته اﷻ تعالى في منامه وهو شاب وأمات حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى اﷻ تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه اﷻ عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان ثلاثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك اﷻ تعالى بخت نصر ببعوضه دخلت دماغه ونجى اﷻ تعالى من بقي من بني إسرائيل وردداهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين سنة

وكثرُوا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزيز أحياءه ﷻ تعالى وذلك قوله تعالى .

ثم بعثه وإيثاره على أحياءه للدلالة على سرعته وسهولة تأتية على البارئ تعالى كأنه بعثه من النوم للإيدان بأنه أعاده كهيئته يوم موته عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال .

قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال .

كم لبثت ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤنه تعالى وأن إحيائه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرّة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرًا طويلاً من غير تغيير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف أي كم وقتاً لبثت والقائل هو ﷻ تعالى أو ملكٌ مأمورٌ بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت .

قال لبثت يوماً أو